

اسم المادة: ١٤- التعريف بمسمى الإيمان

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ١٤- التعريف بمسمى الإيمان
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإيمان للهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله واحدًا أحدًا فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وخليله، أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فاللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته واتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛

مرحبا بكم أيها الإخوة والأخوات ونواصل رحلتنا مع الوجيز في عقيدة أهل السنة والجماعة، لمؤلفه الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري.

اليوم موعدنا مع المجلس الرابع عشر مع مسمى الإيمان.

قال المصنف: ومن أصول عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، أي هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قول القلب: هو اعتقاده وتصديقه وإقراره وإيمانه.

وقول اللسان: معناه النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما.

وعمل القلب: هي نيته وتسليمه وإخلاصه وإذعانه ورجاءه وخضوعه وانقياده وحبه وإرادته وما إلى ذلك.

وعمل الجوارح: هي فعل للمأمورات وترك المنهيات.

فالإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن أتى بجميعها فقد اكتمل إيمانه، ومن أتى باثنتين دون الثالث لم يصح إيمانه لأن الأعمال عندهم جزء من الإيمان، وداخل في مسماه، والإيمان بدون عمل لا يصح ولا يجزي، وأجمع على هذا القول أئمتهم فقالوا: لا إيمان إلا بالعمل ولا قول ولا عمل إلا بالنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة.

وهذه المسألة وإن كان المؤلف قد نقل فيها الإجماع لكن فيها خلاف؛ طبعا ترك العمل على سبيل الاستحلال هذا كفر، يبقى خلاص هذا ناقض للإيمان، أما تركه معصيةً وتهاون فهذا الذي فيه خلاف، والصواب من القول والله –تعالى– أعلم أن ما كان كفرًا تركه فهذا هو الذي يكون شرط في صحة الإيمان، بمعنى إذا أتى به الإنسان كان مؤمنًا وإذا لم يأتِ به كان كافرًا كما نطق به الكتاب العزيز أو سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.



والخلاف قوي من ناحية الأعمال في مسألة الصلاة، وأما ما دونها فيه خلاف كبير، وأكثر أهل السنة على أن ترك هذه الأمور تهاونًا أو فعلها أحيانًا وتركها أحيانًا –دون الصلاة– من الكبائر العظام وإن لم ترقى إلى أن تكون ناقضًا من نواقض الإيمان.

قال الله –تعالى–: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ" الأنفال٢:٤.

وقد قرن الله –سبحانه وتعالى– الإيمان مع العمل في كثير من الآيات في كتابه العزيز، قال –تعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا" الكهف:١٠٧.

وقال –سبحانه–: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا" فصلت:٣٠.

وقال –تعالى–: "وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" الزخرف:٧٢.

وقال –تعالى–: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" العصر١:٣.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لسفيان بن عبد الله الثقفي: "قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ"[١].

وقال –صلى الله عليه وسلم–: "الإيمانُ بِضعٌ وسَبعونَ شُعبةً، فأَفْضَلُها قَولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وأدْناها إماطةُ الأَذَى عنِ الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ"[٢].

فالإيمان والعمل متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، والعمل صورة الإيمان وجوهره وهو من لوازمه ومقتضياته ونصف معناه.

طبعا هذا الباب معقود أصلًا لبيان عقيدة أهل السنة في هذا الأمر، وللرد على المرجئة الذين أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، فعندهم من قال أنا مؤمن أو شهد بالشهادتين فخلاص هو المؤمن كامل لأن مفيش عندهم تفاوت في الإيمان، الناس في أصله سواء عندهم، إيمان جبريل كإيمان النبيين كإيمان آخر رجل ينتسب للمسلمين، وهذا بخلاف الواقع وخلاف الشرع وخلاف العقل وكل ما يمكن أن يستدل به على قولٍ صحيح.

فالإيمان معروف أنه قد يزيد بالطاعة حتى يكون كالجبل، وينقص بالمعصية حتى لا يبقى منه شيء، والناس متفاضلون فيه.

قال الله –تعالى–: "وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ" التوبة١٢٤:١٢٥.

وقال –تعالى–: "وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا" المدثر:٣١.

وقال –تعالى–: "وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا" الأنفال:٢.

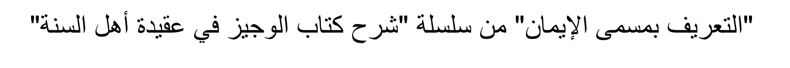
وقال –تعالى–: "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ" الفتح:٤.

قال –تعالى–: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" آل عمران:١٧٣.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَض للهِ، وأَعطَى للهِ، ومنع للهِ، فقد استكمل الإيمانَ"[٣].

وقال –صلى الله عليه وسلم–: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"[٤].

[١] صحيح مسلم
[٢] صحيح الجامع
[٣] صحيح أبي داود
[٤] صحيح مسلم





طالما الإيمان بينزل يبقى إذًا هو بيزيد.

وهكذا تعلم الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– وفهموا من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان كالطاعات والعبادات، وينقص أيضا بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان كفعل المحرمات والمعاصي والمنكرات. وأن أهله متفاضلون؛ فمنهم السابق بالخيرات بإذن الله فيه، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه كما نطق به الكتاب العزيز.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، من لا صبر له لا إيمان له".

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: "اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا".

وكان ابن عباس وأبو هريرة وأبو الدرداء يقولون: "الإيمان يزيد وينقص".

وقال وكيع بن الجراح: "أهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل".

وقال إمام أهل السنة –الإمام أحمد–: "الإيمان يزيد وينقص فزيادته بالعمل ونقصانه ترك العمل".

قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال".

وقال الإمام الشافعي: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية" ثم تلا قوله –تعالى–: "وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا".

إلى آخر ما نقله مصنفنا عن أئمة أهل السنة.

وخلاصة القول أن الإيمان هو ما وقر في قلب العبد وصدقه لسانه وعمله، وبدت ثمراته واضحة في جوارحه بامتثال أوامر الله والابتعاد عن نواهيه لأن اسم الإيمان يقع حقًا على من يصدق بجميع ما جاء به الرسول الأمين –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم– عن ربه –جل وعلا– اعتقادًا وإقرارًا وعملًا وأن العباد لا يتساوون في الإيمان ولا يتماثلون فيه أبدًا.

وكذلك أهل السنة لا يسلبون وصف الإيمان عن العبد إذا عمل عملًا ما لا يكفر فاعله من المحظورات أو ترك ما لا يكفر تاركه من الواجبات ولا يخرجونه من الإيمان إلا بفعل ناقض من نواقضه، فمرتكب الكبيرة: السارق، الزاني، القاتل، وما إليه لا يخرج من الإيمان ما لم يستحل ذنبه، يعني يقول هو حلال.

يقتل واحد ويقول له حلال قتلتك. يشرب الخمر ويقول الخمر أصلًا مش محرمة، كل دي معروفة إنها من المعلومات بالدين بالضرورة. يبقى هو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، واستحل المحرم المعروف للناس كافةً عالمهم وجاهلهم، فالذي يستحل هذا؛ هذا يكفُر، وأما الذي يرتكب مجرد ارتكاب على سبيل المعصية فهذا أهل السنة لا يخرجونه من الإيمان بالكلية، فيبصير مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته، وفي الآخرة إن مات ولم يقم عليه الحد –لأن الحدود كفارة لأهلها– أو يتوب إلى الله –سبحانه وتعالى–، فالتوبة تجب ما قبلها أي تمحوها، فإن لقي الله –عز وجل– بهذه الكبائر فهو تحت مشيئته –سبحانه وتعالى–؛ إن شاء عذبه بعدله قِصاصًا، وإن شاء تجاوز عنه بمنه وكرمه وفضله –سبحانه وتعالى–.

فالمقصود من هذا: الرد على أهل الخوارج الذين يكفّرون بالمعصية، فمن ارتكب عندهم معصيةً حتى لو غير مستحل لهذه المعصية، فالزاني عندهم كافر، والسارق كافر، والقاتل كافر، ولاعب القمار وشارب الخمر هؤلاء كفار عندهم.

ولذلك أهل السنة استدلوا على هذه القاعدة العظيمة بقوله –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ" النساء:٤٨.

كل ما هو بعيد عن الشرك الأكبر المخرج من الملة فهو تحت مشيئة الله –سبحانه تعالى–.



وعن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أَتاني جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ فَبَشَّرَنِي أنَّه مَن ماتَ مِن أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ"[٥].

وقال الصحابي الجليل أبو هريرة: "الإيمان نَزِه –طاهر ونظيف– فمن زنى فارقه الإيمان، فإن لام نفسه وراجع راجعه الإيمان".

وقال الصحابي الجليل أبو الدرداء: "وما الإيمان إلا كقميص أحدكم يخلعه مرة ويلبسه أخرى، والله ما أمن عبد على إيمانه إلا سلبه فوجد فقده".

ولذلك في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: أن الإيمان يخرج من الإنسان وقت ارتكابه للمعصية لا سيما الكبائر فيصير فوقه كالظلة، فإن ترك المعصية عاد إليه الإيمان. فنسأل الله العافية والسلامة.

تخيل إن إنسان دلوقتي بيرتكب هذا الأمر العظيم كالزنا وغيره، ثم يموت على هذه الحالة فكيف يكون لقاؤه بالله –عز وجل–؟ وهو قد لقيه بهذا الأمر الذي فيه انتهاك لحرمته –سبحانه وتعالى–.

ولذلك أيضًا فهذا عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– أنه كان يدعو غلمانه غلامًا غلامًا –اللي هما العبيد– فيقول لهم: ألا أزوجك؟ ما من عبدٍ يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان.

وسأله عكرمة: كيف يُنزع منه الإيمان؟ قال: هكذا وشبك أصابعه ثم أخرجه، فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك أصابعه مرة أخرى. وشوف ابن عباس وحياطته لإن معروف أن الزنا كان ينتشر في الإماء والعبيد أكثر من الأحرار، فكان يريد أن يحثهم على الزواج من الحلال ليستعفوا به، يطلبوا العفة ولا يفعلوا الحرام خوفًا على إيمانهم وصلاحهم.

وكذلك يعتقد أهل السنة أن الاستثناء في الإيمان أمر مستحب، ليس هو بواجب، أي أن يقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله. والاستثناء عندهم أولى من عدمه لأنهم لا يجزمون لأنفسهم بالإيمان، محدش عارف دلوقتي كيف سينتهي حاله!

كم رأينا من إنسان ظاهره الصلاح في بداية حياته ثم يموت –والعياذ بالله– على غير ملة الإسلام. فلذلك هم يقولون من شدة خوفهم وإثباتهم للقدر ونفيهم لتزكية –أي مدح لأنفسهم–: أنا مؤمن إن شاء الله، فيستثنون بهذه المشيئة لعله في علم الله –عز وجل– أنه لا يتم لهم هذا الإيمان، وهذا من كمال علمهم وتمام فقههم –رحمهم الله تبارك وتعالى–.

وكذلك يقولون هذا لأنهم ربما يعتقدون أنهم لم يأتوا بكمالات الإيمان من كل الواجبات والمستحبات، أو لم ينتهوا عن كل ما حرم الله أو كره الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–.

لكن هل هكذا مطلق إن كل إنسان يجوز له في كل الأحوال يقول أنا مؤمن إن شاء الله؟ لأ، استثنوا حالة ما إذا كان على سبيل الشك، ما كان على سبيل الشك أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله شكًا في الإيمان، ومعروف أن الشك أصل من أصول الكفر والعياذ بالله.

وطبعا كان هناك خلاف مرير بين الفقهاء بين زواج الحنفية من الشافعية، والحنفية لا يستثنون في الإيمان، والشافعية يقولون بقول أهل السنة في الاستثناء من الإيمان، لأن الحنفية بيعتبروا ده شك على طول الخط والأمر فيه تفصيل.

وقال الله –تعالى–: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ" الكهف٢٣:٢٤.

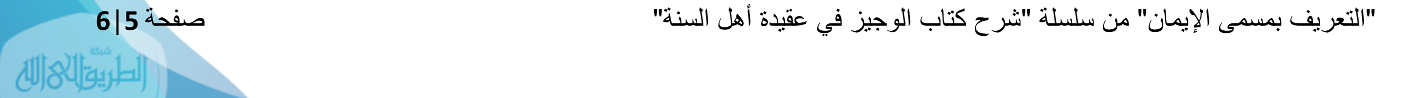
وقال الله –تعالى–: "فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ" النجم:٣٢.

وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا دخل بالمقبرة يقول: "السَّلامُ علَيْكُم أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وإنَّا، إنْ شَاءَ اللَّهُ لَلَاحِقُونَ"[٦].

فهل معنى ذلك أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقول هذا على سبيل الشك؟ عياذًا بالله من هذا، إنما يستثني أن هذا أمر بيده –

[٥] صحيح مسلم

[٦] صحيح مسلم



سبحانه وتعالى-. متى سيلحق الإنسان بالأموات؟ هذا في علمه -سبحانه وتعالى-. "أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ"، هذا بقية دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- في دخول المقبرة.

وكان الصحابي ابن مسعود يقول: "من شهد على نفسه أنه مؤمن فليشهد أنه في الجنة".

وقال جرير بن عبد الحميد -رحمه الله-: سمعت منصور بن المعتمر والمغيرة والأعمش والليث وعمارة بن القعقاع وابن شبرمة والعلاء بن المسيب ويزيد بن أبي زياد وسفيان الثوري وابن المبارك ومن أدركت يستثنون في الإيمان ويعيبون على من لا يستثني.

وسئل الإمام أحمد عن الإيمان فقال: "قول وعمل ونية"، قيل له فإذا قال رجل: مؤمن أنت؟ بيسأل، قال الإمام أحمد: هذا بدعة ما سمعنا بها من قبل، قيل له: فما يرد؟ قال يقول: مؤمن إن شاء الله.

فهذا مرور سريع على مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة وعلى أصل الإيمان عندهم وعلى مكانة العمل الصالح في الإيمان، وكذلك أن الإيمان عندهم يزيد وينقص، يزيد بالطاعة حتى يصير كالجبال العظيمة، وينقص حتى يكون أضعف شيء.

وأوردنا الأدلة التي ذكرها المصنف على ذلك، وأن مرتكب الكبيرة ما لم يستحلها فإنه مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، وأنه إن مات من غير إقامة حدٍ ولا توبةٍ فهو في مشيئة الله -عز وجل- إن شاء عذبه بعدله قصاصًا، وإن شاء عفا عنه بمنه وكرمه -سبحانه وتعالى-، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة -عز وجل-.

وكذلك ذكرنا في نهاية الحديث مسألة الاستثناء في الإيمان، أن يقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله، كان يقولها جماهير أهل العلم لعدم التزكية والمدح للنفس، ولأنهم يعتقدون أنهم لم يبلغوا الكمالات، وكذلك خوفًا من سوء الخاتمة، والله -تعالى- أعلى وأعلم.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يزيدنا وإياكم إيمانًا وهدىً وتقىً اللهم آمين، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

